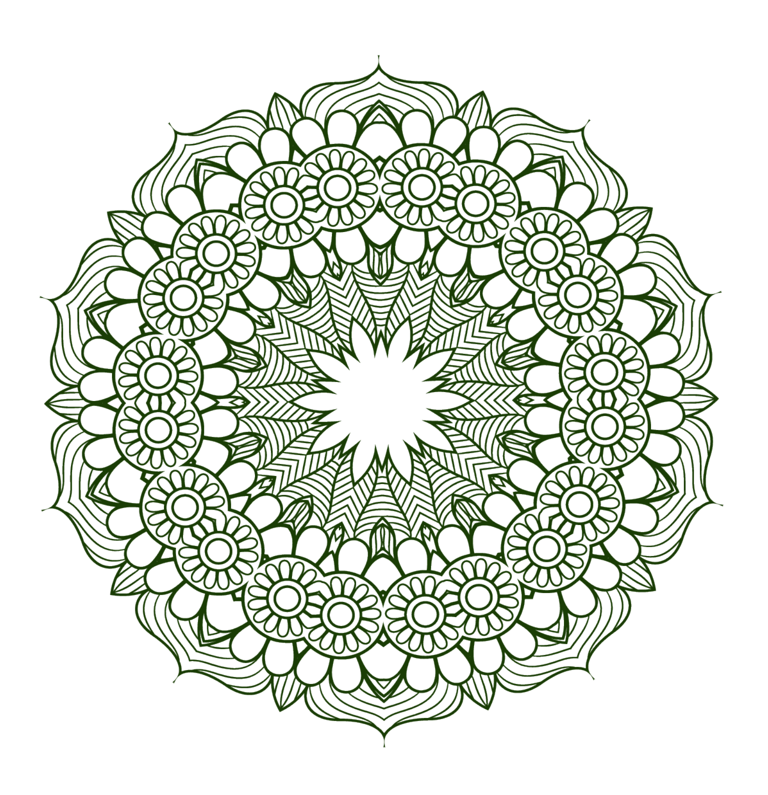


علاج الفتور في طلب العلم

تأليف

عبد العزيز بن داخل المطيري






علاج الفتور
في طلب العلم



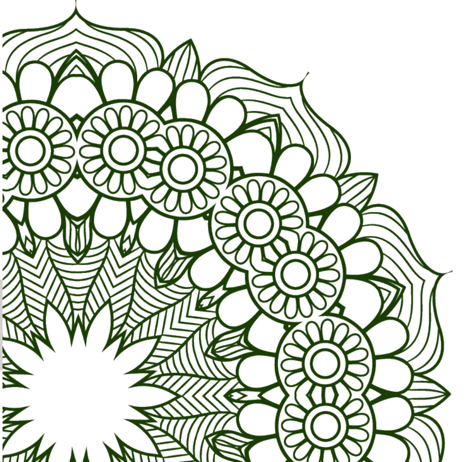
عِلَاجُ الفُتُورِ فِي طَلَبِ العِلْمِ

تأليف

عبد العزيز بن داخل المطيري




بسم الله الرحمن الرحيم



ⓒ عبدالعزيز داخل المطيري ، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المطيري ، عبدالعزيز داخل
علاج الفتور في طلب العلم. / عبدالعزيز داخل المطيري .-
الرياض ، ١٤٣٨هـ
..ص ؛ ..سم

ردمك: ٢-٢٧٧٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الاسلام والعلم أ.العنوان
ديوي ٢١٤,٥ ١٤٣٨/٦٢٦

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٢٦
ردمك: ٢-٢٧٧٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

النشرة الإلكترونية الثالثة

١ رجب ١٤٤٣ هـ

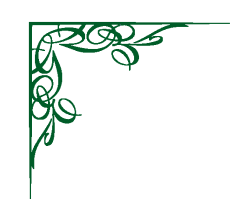
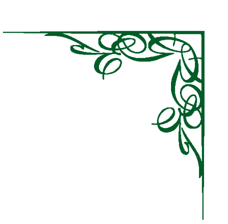
يُدرَّس هذا الكتاب في






Eadadycom@Gmail.com Eadadycom 0505941199



المقدمة

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الوليّ الحميد، والواسع المجيد، خلقنا من العدم، وأسبغ علينا النعم، وعلّمنا ما لم نكن نعلم، وأخرجنا بهُدَاه من الظلمات إلى النُّور، ومن أسبابِ الشَّقاء إلى أسبابِ السَّعادةِ، ويسَّرَ لنا التفقُّه في دينِهِ، والعملَ بشريعتِهِ، والتبصُّرَ ببصائرِ كتابِه، والاهتداءَ بهدي نبيّه صلى الله عليه وسلم، الذي مَنَّ به علينا على حِينِ فترةٍ من الرُّسُلِ؛ وعَمَايةٍ من الجهل؛ فكشف به الغُمَّة، وأَكملَ بِهِ الدِّينَ، وأتمَّ بِهِ النِّعمةَ، حتَّى ترَكَنا على المحجَّةِ البيضاءِ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك؛ فصلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإنّ الله تعالى قد شرّف العلمَ تشريفاً جليّا، وجعله له قدراً عليّا، فبَيَّن فضله، وكرّم أهله، وحثّ على طلبه، وخصّ أهل العلم بخصائص من الفضل العظيم، وبوَّأهم المنزلة العالية الرفيعة، فجعلهم أئمة يهدون بأمره، ويحفظون أمانة شرعه، ويفسّرون كتابه، ويشرحون سنّة نبيّه، ويبينون الهدى للناس، فيُفتون المستفتي، ويُرشدون المسترشد، ويعلّمون أحكامَ الشريعة، وينفون عن هذا العلم تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ولذلك كان طلب العلم لمن صحَّت نيته من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله، وكان كيدُ الشيطان للصدّ عنه شديداً، والآفات التي تعترض طالب العلم في طريق طلبه كثيرةً متنوّعةً؛ يُبتلى بها صدقُه وإخلاصُه، وصبرُه وثباتُه؛ حتى إذا استكملَ طالب العلم ما قُدّرَ له من مقامات التعلّم والعمل والدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، وصبر على ما أصابه كان من العلماء الربانيين، والأئمّة المهديّين.



وإنّ من أشدّ الآفات التي تعتري طلاب العلم، وتقطع كثيراً منهم عن مواصلة طلبه، وتحرف آخرين عن المنهج الصحيح الذي سلكه العلماء الربّانيّون، وما يتطلّبه من الصبر والثباتِ: آفةُ «الفتور في طلب العلم».

وهذه الآفة لها أسبابها وآثارها، ولها حكمها وغاياتها، وقد بيّنت الشريعة الهدى فيها بأحسن بيان وأتمّه.

وتَبَصُّرُ طالبِ العلم بذلك في أوّل مسيرِه في طلب العلم مما يعينه على استجلاء حقيقة هذه الآفة، والحكمة من تقديرها، ومعرفة سبيل الهدى فيها.

وقد عَقَدتُ للحديثِ عن هذه الآفةِ الخطيرةِ الفصولَ التالية:

الفصل الأول: التذكير بأن إقامة الدين لا تكون إلا بالعلم والإيمان

الفصل الثاني: التذكير بسنة الابتلاء وكيد الشيطان لطالب العلم

الفصل الثالث: التذكير بصبر العلماء على طلب العلم

الفصل الرابع: بيان أنواع الفتور في طلب العلم وأسبابه

الفصل الخامس: بيان علاج الفتور في طلب العلم

وأسأل الله تعالى أن يوفّقني لصلاح القصد وحسن البيان، وأن ينفع بهذا العمل طلاب العلم، ويبارك لهم فيه.







الفصل الأول: التذكير بأن إقامة الدين لا تكون إلا بالعلم والإيمان

لا يقوم الدين إلا على ركني العلم والإيمان؛ فبالعلم يُعرف هدى الله تعالى، وبالإيمان يُتّبع هذا الهدى.

وإذا اجتمع للناس المعرفة بهدى الله تعالى واتّباعه فقد أقاموا دينهم، وفازوا بما وعدهم الله به من الهداية والنصر والولاية والحفظ.

وقد جعل الله تعالى رفعة هذه الأمة، وعزتها، ونجاتها لا تحقق إلا بالعلم والإيمان؛ فقال الله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾، والشرط الموجِبُ يتخلّف الحكم بتخلفه، وكلما ازداد العبد إيمانًا؛ زاد نصيبه من العلوّ والعزّة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾، وهذا كما يتحقق في الأفراد، فهو كذلك في الأمة بعمومها، فكلما كانت الأمَّة أكثر حظًا ونصيبًا من العلم والإيمان؛ كانت رفعتها وعزتها أظهر وأشهر، وكلما ضعف حظها منهما؛ كانت أكثر تخلفًا وانحطاطًا وذلًا، والتاريخ والواقع شاهدان على ذلك.

- فظهورُ الفرق الضالة، وانتشار البدع والأهواء والخرافات التي ضل بسببها فئام من الناس، وقيام التيارات الفكرية المنحرفة التي رفعت راياتها، وتبوأت ما لم يكن لها أن تتبوأه، كلُّ ذلك إنما سببه ضعفُ العلم في الأمَّة، وضعفُ القائمين به، وفشوّ الجهل؛ فحصل بذلك ضلال كثير، وفساد كبير.

- وظهورُ المعاصي والمنكرات، واستحلالُ المحرمات، وخيانةُ الأمانات، والاستهانة بالفرائض والواجبات؛ كلّ ذلك سببه ضعف الإيمان.



فبضعف العلم والإيمان؛ ينحطّ الفرد، وتنحطّ الأمة، وبازدياد العلم والإيمان؛ يرتفع الفرد، وترتفع الأمة، فهذه المعادلة سنة كونية شرعية، دلائل إثباتها من الشريعة والتاريخ والواقع ظاهرة جليّة.

وباجتماع العلم والإيمان تستنير البصيرة، ويحيا القلب، وتزكو النفس، ويصلح العمل، وتحصل النجاة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة للفرد وللأمّة.

وقد أمرنا الله تعالى بإقامة الدين، فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

وإقامة الدين عمادها على العلم والإيمان، ومن قام بهما فقد أقام دينه، وكان له وَعْدٌ من الله تعالى بالهداية والنصر، وإنْ خذله مَن خذله، وإن خَالفَه من خالفَه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا يزال من أمّتي أمّةٌ قائمةٌ بأمرِ الله، لا يضرُّهم مَن خذلهم، ولا مَن خالفهم، حتى يأتيهم أمرُ اللهِ وهمْ على ذلك**» رواه الشيخان من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وهذا لفظ البخاري.

فضَمِن الله تعالى – على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم – لمن يقوم بأمره أن لا يضرَّه من يخذله ولا من يخالفه، مهما كانت درجة الخذلان، ومهما كانت درجة المخالفة.

وفقه هذه المسألة يفيد كلَّ مؤمنٍ قائمٍ بأمرِ الله جل وعلا، ويفيد كلَّ جماعة قائمة بأمر الله أنهم قد يُبتَلَوْن بالخذلان من الناس، وقد يُبْتَلَون بالمخالفة، فإذا قاموا بأمر الله كما أمرهم الله على ما يستطيعون؛ لم يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم؛ بل تكون لهم العاقبة الحسنة، لتكفّل الله لهم بالهداية والنصر، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾.





والمؤمنون هم أتباع الأنبياء، ينالهم من جنس ما ينال الأنبياء من الابتلاء، ويثابون بما وعدهم الله عز وجل على رسله إنِ اتبعوهم، وقد جعل الله الأنبياءَ أسوة لنا، وأمرنا أن نقتدي بهم.

وتكفل الله لأوليائه بالهداية والنصر جامع لما يحتاجون إليه؛ فبالهداية يسيرون في الطريق الصحيح الذي لا شقاء معه، وبالنصر يتغلبون على أعدائهم ممن خذلهم وخالفهم، والنصر على الأعداء يشمل جميع الأعداء ممن نبصرهم، ومن لا نبصرهم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾، وأعظم الانتصار؛ انتصار الإنسان على شيطانه الذي هو العدو المبين الذي يريد إضلاله.

وتقديم الهداية على النصر في الآية من باب تقديم العلم على العمل، لأن الهداية من ثمرات العلم، والنصر من ثواب العمل.

والنصر له معالم وأسباب؛ ونصر الله تعالى لعباده المؤمنين حق قد وعد الله به كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾، فهو وعد صادق لا يتخلف، لكن قد يعجّل الله به، وقد يؤخره لحكمه، وشرط ضمان الهداية والنصر هو القيام بأمر الله، فإذا قام العبد بأمر الله على ما يستطيع – ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾– فإنَّ الله تعالى يضمن له الهداية، ويضمن له النصر.

ومن تأمل هذا المعنى حق التأمل؛ تبيَّن له أَّن الإنسان إذا لم يقم بأمر الله فهو على خطر عظيم، ولذلك قال سفيان بن عيينة رحمه الله: «**ما في القرآن آية أشد عليّ من** ﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾» رواه البخاري.

وسبب شدّة هذه الآية على سفيان بن عيينة فقهه لمعناها، ومعرفته بدلالتها على أن العبدَ الذي لا يقيم ما أنزل الله عليه ليس على شيء، فلا ضمان له من الله، ولا عهد، ولا أمان له، ولا سبب له إلى النجاة؛ بل هو هالك لا محالة، إلا أن يتوبَ إلى الله، ويقومَ بأمره.



وإذا حصل للعبد أصل القيام بأمرِ الله حصل له أصلُ ضمان النجاة، وإن تخلّفت عنه النجاة التامة؛ لإخلاله ببعض واجبات القيام بأمر الله، وهذا حال من يأتي بأصل الإسلام ويجتنب نواقضه، ويقع في بعض كبائر الذنوب ويموت مصرا عليها؛ فلا ينجو من العذاب نجاةً تامّة بالأمان الذي يجعله الله عزّ وجل للمؤمنين، ولا يكون حكمه حكم الكفّار المشركين، بل قد يُعذَّب في الدنيا أو في الآخرة على بعض ما اقترفه من المعاصي، وعلى إخلاله بالقيام بأمر الله عز وجل، وقد يعفو الله عز وجل عنه، مادام قائماً بأصل الدين.

وعلى قدر ما يقوم به العبد من أمر دينه؛ يكون نصيبه من النصر ومن الهداية:

- **فمن الناس من يكون محسنًا في القيام بأمر الله،** فهذا نصيبه من الهداية والنصر أحسن النصيب كما قال الله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾.

- **ومن كان في قيامه بأمر الله بعض الإساءة والتردّد والضعف**؛ فإنه يتخلَّف عنه من الهداية والنصر بقدر ما فرّط وضيّع وأساء.

- **أما من ضيّع أمر الله جملة كالكفار والمنافقين** فهؤلاء ليسوا على شيء، كما قال الله تعالى في شأن كفرة أهل الكتاب: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**رأْسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ، وذروةُ سنامِهِ الجهادُ في سبيلِ الله**». رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

والمقصود أن إقامة الدين لا تكون إلا بالعلم والإيمان، وأن أهل العلم والإيمان هم أئمة المسلمين في الدنيا، إذ كتب الله لهم الرفعة والعزة، وأكرمهم وشرّفهم، وجعلهم أئمة يهدون بأمره، ويرجع إليهم في معرفة هداه.

وفي النصوص دلائل كثيرة على محبّة الله تعالى لهم، وتقريبه إيّاهم، وتحبيبهم إلى خلقه، ومباركة أعمالهم وعلومهم.





وقد أجرى الله لأهل الإيمان من أسباب البركة والفضل شيئًا كثيرًا مباركًا لا يخطرُ على القلوب حدّه، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾، فالتأكيد بأن هذا الفضل من الله، له أثر عظيم في قلوب المؤمنين:

• **فمن ذلك:** دلالتها على محبة الله تعالى لهم؛ بأن نص على أن هذا الفضل منه جل وعلّا، وأنه اختصاص خصّهم به دون غيرهم.

• **ومن ذلك:** دلالتها على أن هذا الفضل عظيم، جدّ عظيم؛ لأنه فضل من الله، وليس من غيره، والله تعالى عليم بما يُرضي عباده، وما تقر به عيونهم، وتحسن به عاقبتهم.

• **ومن ذلك:** أنه فضل يكفي عن وصفه وتعيين نوعه وأفراده، أنه فضل من الله؛ وكل عطية موعودة، يَزِنُها الناس بقدر معطيها، ألا ترون أن الناس يستشرفون لأعطيات الكبراء من الملوك والتجّار، لمظنة أن أعطياتهم جزلة كثيرة؟!

فإذا وعد أحدهم بعطيّة وأبهمها، علم الناس أنه إنما أبهمها لتعظيمها، فيحصل لهم من اليقين بعظمها بسبب هذا الإبهام، وتذهب آمالهم كل مذهب بسبب ثقتهم بقدرة أولئك الكبراء على الوفاء بالأعطيات العظيمة.

وهؤلاء الكبراء لا يساوون في ملك الله عزَّ وجلَّ شيئًا يُذكر، ولو اجتمعوا جميعًا من أول ما خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة على أن يعطوا أعطيةً عظيمة؛ فإنهم لن يبلغوا في ملك الله تعالى نقرة عصفورٍ في بحر عظيم، ولا ينقصُون من ملكِ الله إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أدخل البحر ثم أُخرج منه، فهذا القدر من الماء الذي يعلق بالإبرة بالنسبة للبحر العظيم لا يساوي شيئًا يذكر، فهذا مَثَلُ ما ينفقون ولو اجتمعوا عليه، فما ظنكم بفضل الله العظيم؟!

والمقصود أن النصّ على أن هذا الفضل من الله، وإبهام مقدار هذا الفضل؛ دليل على تعظيمه لتشرئبَّ إليه الأعناق، وتتطلع إليه النفوس، ويزداد تشوقها إليه، ورغبتها فيه، ثم زادهم الله عز وجل بيانًا وتشويقاً بأنْ وصف هذا الفضل بأنه كبير: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾.



- وهذا التبشير بهذا البيان البديع من دلائل محبّة الله تعالى لعباده المؤمنين، وعنايته بهم، ولهذه المحبّة والعناية آثار عظيمة مباركة، فهي محبة من لا يعجزه شيء، ولا يخفي عليه شيء، ولا يغيض مُلكَه كثرةُ عطائِه.

ومما يدل على تأكيد عناية الله تعالى بهم ومحبته تبشيرهم؛ أنه كرر الأمر على نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن مرارًا أن يبشرهم، فورد قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذا اللفظ في القرآن في خمسة مواضع، وورد أيضًا في موضعين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وفي موضعين: ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

- وجعل الله تعالى أهل العلم من الشهداء على أعظم كلمة، وأشرف قضية، وأجّل خصومة بين رسله وأعدائه، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

وشرف القضية وجلالة قدرها، وإشهاد أهل العلم عليها؛ دليل عظيم على تشريف قدر أهل العلم، ومنزلتهم عند الله عز وجل، ومحبة الله تعالى لهم.

- ويومَ القيامة يزيدهم الله شرفًا ورفعةً، بأن تكون لهم كلمةٌ مسموعة على الملأ، ومقامٌ محمود يتكلمون فيه بحجة الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

فهذا الشرف العظيم في الدنيا والآخرة، والفضل الكبير الذي جعله الله عز وجل لأهل العلم والإيمان؛ من أعظم الأسباب الدافعة لطالب العلم أن يصدق الله عز وجل في طلبه للعلم، وأن يعلم أنه إن صدق في طلبه العلم؛ فهو على أبواب فضل كبير من الله عزَّ وجل في الدنيا والآخرة.

والعلم والإيمان محفوظان إلى أن يأتي أمر الله، ومن صدق في ابتغائهما؛ وجدهما بإذن الله عز وجل، وقد روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم من طريق

أبي إدريس الخولاني، عن يزيد بن عميرة رحمه الله تعالى- وكان صاحب معاذ بن جبل- أنّه قال: (لمّا حضر معاذ بن جبل الموت، قيل: يا أبا عبد الرحمن أوصنا. قال: «**أجلسوني**».

ثم قال: (**إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما**» كررها ثلاث مرات).

وفي رواية: «**إنَّ العلمَ والإِيمَانَ مكانهما إلى يومِ القيامةِ، ومَنِ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا**».

وفي رواية في مستدرك الحاكم من طريق حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن يزيد بن عميرة أنه قال: لما مرض معاذ بن جبل مرضَه الذي قُبضَ فيه كان يُغشَى عليه أحيانا، ويفيق أحيانا، حتى غُشِيَ عليه غَشيةً ظننَّا أنه قد قُبض، ثم أفاق وأنا مقابِلُه أَبكي، فقال: «**ما يبكيك؟**».

قلت: والله لا أبكي على دنيا كنت أنالها منك، ولا على نسب بيني وبينك، ولكن أبكي على العلم والحكم الذي أسمع منك يذهب.

قال: «**فلا تبك فإن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما فابتغه حيث ابتغاه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه سأل الله تعالى وهو لا يعلم وتلا:** ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ .. » وذكر الوصية.

ومعاذ بن جبل رضي الله عنه كان من كبار علماء الصحابة رضي الله عنهم وقرّائهم وخيارهم.

والمقصود أن العلم والإيمان مكانهما، من صدق في طلبهما وجدهما -بإذن الله تعالى- ومن ابتغى الهدى من الله عز وجل؛ فإنَّ الله عز وجل ييسّره له، ومن عرف هذه الحقيقة دعاه ذلك إلى الجدّ والاجتهاد في طلب العلم، ودعاه ذلك أيضًا إلى الجد والاجتهاد في تصحيح الإيمان، وتقويته، واستكماله؛ فإنَّ مدار سعادة الإنسان وفلاحه على قيامه بأمر ربه، وسبيل ذلك العلم والإيمان.



فالعلم بلا إيمان حجة على صاحبه، والإيمان لا يصح إلا بالعلم، فمن عبد الله على جهل، فقد خالف مقتضى الإيمان الصحيح وضلّ مع الضالين، ومن علم ولم ولم يقم بواجب الإيمان كان من المغضوب عليهم.

وتبصّر طالب العلم بهذين الأصلين في أوّل طلبه للعلم من الأهميّة بمكان؛ فإنه لا غنى له عنهما.

والتفاوت في تحصيلهما كبير ظاهر، وكلما كان المرء أحسن علماً وأقوى إيماناً كان أكثر نصيباً من الهداية والعزة والرفعة والثواب العظيم.





الفصل الثاني: التذكير بسنة الابتلاء وكيد الشيطان لطالب العلم

ومما ينبغي أن يُعلم أن الفضائل العظيمة التي جعلها الله تعالى لأهل العلم والإيمان قد جعل لها ثمنًا جليل القدر؛ فلا تُنَال بالتمني، ولا بالدعاوى الباطلة، ولا بالعزائم الواهية؛ وإنما تنال ببذل ثمنها، وسلعة الله غالية، يتميز ببذلها الصادق من الكاذب، والمؤمن المصدّق من المنافق المكذّب، ويتميز بها القوي الأمين من الضعيف المتردد.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾، والعلم كذلك ينبغي لطالبه أن يأخذه بقوة، وأن يُعِدّ له عدّته، وأن يبذل له أغلى ما يملك، وأعزَّ أوقاته، وأنفسَ أمواله، وأن يجتهدَ له اجتهادًا يليق بمطلوبه العظيم؛ حتى يظفر طالبُ العلم بما رُتِّبَ على طلب العلم من الفضل العظيم.

ويجب أن يدرك طالب العلم في هذا طريق طلبه للعلم حقيقتين مهمتين:

- **الحقيقة الأولى:** سنة الابتلاء؛ فكما أسلفت أن فضائل العلم والإيمان لا تدرك بالأماني، ولا بالتشهي، وإنما يعترض طالبها من الابتلاء؛ ما يتميز به الصادق من الكاذب، ومن يثبت ومن لا يثبت.

وهذا الابتلاء ليس ابتلاءً اختياريًا؛ إن شاء العبد أن يدخل الابتلاءَ دخله، وإن لم يشأ لم يدخله، فكلّ إنسان معرّضٌ للابتلاء، وأرفع الناس قدرًا، وأشرفهم وأفضلهم مَن كان ابتلاؤه في أشرف الأمور وأفضلها.

والله عز وجل يبتلي عباده بما يشاء، وكيف يشاء، لا اختيار للعبد في ذلك، وإنما على العبد أنه إذا ابتلي أن يتبع هُدى الله عز وجل في ذلك البلاء الذي ابتلي به.



ومن توجَّهت عنايته، وسمت همّته لطلب معالي الأمور، وطلب فضل العلم؛ فإنه قد يبتلي بما يناسب هذا المطلوب العظيم؛ فإذا اتّبع هدى الله عز وجل، وصدق وصبر؛ فإنه يرجى له أن يفتح له في العلم، وأن ينال به الفضل العظيم في الدنيا والآخرة، فإن مات وهو في طريق طلبه للعلم، ولما يظهر للناس أنه قد حصّل علمًا كثيرًا؛ فإنَّ أجرَه على الله عز وجل، وهذا عامّ في كلّ عمل صالح يشرع فيه المؤمن ثمّ يموت ولم يستكمله، وهو صادق في السعي فيه فإنّ الله تعالى يكتب له عمله؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

وقد قصصت في «بيان فضل العلم» خبَرَ طالب العلم الذي مات في المدينة فرُئِيَت فيه تلك الرؤيا العظيمة التي رواها الإمام مالك لتلميذه يحيى بن يحيى الليثي، وفيها أن الله عز وجل قد شرّفه ورفع منزلته بطلبه للعلم، وأنه رفعت درجته حتى كان بعد درجة الصحابة رضي الله عنهم، وهو قد مات في أوّل طلبه للعلم.

فإن من رحمة الله عز وجل، وفضله العظيم؛ أنه يثيب على النيّة والعزيمة الصادقة من العبد، والله تعالى ينظر إلى ما في قلوب الناس كما قال الله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾.

وقال: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».



فمن صدقت عزيمته في طلب العلم رُجيَ له أن يبلّغه الله منازل العلماء، وإن مات في أوّل طلبه للعلم، وهذا يفيد الطالب بأهميّة الصدق والجدّ في طلب العلم، وأن يسير فيه على منهاج أهله، ولا يتعجّل التصدّر.

ويجب أن يتبيّن طالب العلم أنه معرّض في طريق طلبه للعلم لأنواع من الابتلاءات؛ وقد يعظم الابتلاء على بعض الطلاب، ويشتدّ على بعضهم في جوانب ويُخفّف عنهم في جوانب أخرى.

والحكمة من هذا الابتلاء تمييز الصادقين من الكاذبين، ومن يتّبع هدى الله تعالى ممّن يتّبع هوى نفسه؛ فإذا ثبت طالب العلم واتّبع هدى الله عز وجل فيما يعرض له من البلاء؛ فإن الله عز وجل يهديه ويثبّته وينصره، ويضمن له أن لا يضّل، ولا يشقى، ولا يخاف، ولا يحزن؛ وهذه البشارات عظيمة يُعطاها من صدق في اتباع هدى الله عز وجل؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

وأعظم الجهاد جهاد النفس والشيطان.

وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾.

وهذه الآيات وما في معناها من دلائل ابتلاء الله تعالى لعباده المؤمنين، وطلاب العلم لهم نصيبهم من هذا الابتلاء؛ فمن اتّبع هدى الله وصدق وثبت رجي له أن يهديه الله ويسدّده ويوفّقه.



• **والحقيقة الثانية** التي ينبغي لطالب العلم أن يدركها وأن يكون على بصيرة منها، ومعرفة بخطرها وآثارها، هي أن هذه الفضائل العظيمة لطلب العلم قد جُعل له دونها عدوٌّ يكيده كيدًا عظيمًا ليحرمَه من الفوز بها، وهو الشيطان الرجيم، وهو عدوّ لا تراه العين، لكنّه مصاحب للإنسان عند كلّ شيء من شأنه، كما في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه**».

وقد حذّرنا الله تعالى من عداوة الشيطان وكيده، وأمرنا أن نتّخذه عدوّا؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾.

وحذّرنا الله من اتّباع خطواته فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾.

فالشيطان يتعرض لطلاب العلم بأنواع من الحيل والمكائد، ويزيّن لهم الوقوع فيما يفسد عليهم أعمالهم ومقاصدهم، ويحرفهم من الصراط المستقيم؛ ليسلكوا سبيلاً من سبل الضلالة؛ فيجب على طالب العلم أن يكون على حذر من ذلك.

وتعرّض الشيطان لطلاب العلم والمقبلين على عبادة الله تعالى أكثر من تعرّضه لغيرهم.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: (الشيطان يكثر تعرّضُه للعبد إذا أراد الإنابة إلى ربّه والتقرّب إليه والاتصال به؛ فلهذا يعرض للمصلّين ما لا يعرض لغيرهم، ويعرض لخاصّة أهل العلم والدّين أكثر مما يعرض للعامّة، ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم؛ لأنه لم يسلك شرع الله ومنهاجه؛ بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه. وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة؛ فإنه عدوّهم يطلب صدَّهم عن الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.



ولهذا أمر قارئ القرآن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فإن قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الإيمان العظيم وتزيده يقينا وطمأنينة وشفاء. وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾) ا.هـ.

والمقصود من التنبيه على هذه الحقيقة؛ أن هذه العداوة من الشيطان لها آثارها، ولها مظاهرها، ولها صورها، ومن تأمل ما يصيب بعض طلاب العلم من الفتور، وجد كثيراً منه بسبب كيد الشيطان، وعلل النفس الخفية.

والمقصود من هذا الفصل التذكير بهاتين الحقيقتين العظيمتين، وبيان أثرهما على طالب العلم في طريق طلبه، فإذا سَلِمَ طالبُ العلمِ من كيد عدوه، ودفعه بما أمر الله عز وجل به، وثبت في الابتلاء؛ حصلت له - بإذن الله تعالى - تلك الفضائل العظيمة التي جعلها الله لأهل العلم.







الفصل الثالث: التذكير بصبر العلماء على طلب العلم

ومن ظن أنه ينالُ العلمَ بلا مشقّة يكابدها، ولا دَأَبٍ على التحصيل، ولا احتمال لكثير من الأذى، فهو تائِهٌ في أمانيه الباطلة، مغترّ بظنونه الكاذبة، وعزيمته الواهية، بعيدٌ عن معرفة أحوال العلماء في تحصيله والقيام به ونشره، وما عانوه من الشدائد والمصاعب حتى بلغوا ما شرّفهم الله به من الإمامة في الدين، والمكانة العليّة في العلم.

وقد قال موسى عليه السلام في رحلته في طلب العلم: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾.

وقال البخاريُّ في كتاب العلم من صحيحه: (باب الخروج في طلب العلم.. ورحل جابرُ بن عبد الله مسيرةَ شهرٍ إلى عبد الله بن أنيس في حديثٍ واحد) ا.هـ.

وَخَبَرُ هذه الرحلةِ أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري في الأدب المفردِ من طريق القاسم بن عبد الواحد المكّي، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: بلغني حديثٌ عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريتُ بعيراً، ثم شددتُ عليه رحلي، فسرتُ إليه شهرا، حتى قدمت عليه الشام؛ فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب؛ فقال ابن عبد الله؟

قلت: نعم.

فخرج يطأ ثوبه؛ فاعتنقني واعتنقته.



فقلتُ: حديثا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص؛ فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يُحشَر الناس يوم القيامة – أو قال: العباد – عراة غرلا بهما**».

قال: قلنا: وما بُهْمًا؟

قال: «**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوتٍ يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك، أنا الدَّيَّان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النارَ وله عند أحدٍ من أهل الجنة حقٌّ، حتى أقصّه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصّه منه حتى اللَّطمة**».

قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلا بهما؟

قال: «**بالحسنات والسيئات**».

فاحتمل جابرٌ رضي الله عنه مشقّة السفر في ذلك الزمان على بعد المسافة، وخطر الطريق في الفيافي الموحشة، ليطلب حديثاً واحداً ليس له غرض إلا أن يسمعه ممن سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى الخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث» أن أبا أيّوب الأنصاري رضي الله عنه رحل من المدينة إلى عقبة بن عامر الجهني في مصر ليسمع منه حديثاً واحداً.

وقال سعيد بن المسيّب: (**إن كنت لأسير الأيّام واللّيالي في طلب الحديث الواحد**). رواه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث.

وقال الحسن البصري: (**رحلت إلى كعب بن عجرة من البصرة إلى الكوفة فقلت: ما كان فداؤك حين أصابك الأذى؟**

قال: «**شاةٌ**»). رواه الخطيب البغدادي.



وقال أبو العالية الرياحي: (**كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلم نرضَ حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم**). رواه ابن سعد في الطبقات.

فلم يكتفوا بما بلغهم من رواية بعض التابعين عن الصحابة مع إمكان سماعهم الحديث من الصحابة مشافهة ولو اضطرّهم ذلك للسفر مسافات بعيدة جداً؛ ليستفيدوا التثبّت من صحّة ما نقله الرواي، ويزدادوا علماً ومعرفة بجواب ما قد يشكل عليهم من ذلك.

وهذا الصبر والاجتهاد في طلب العلم بعزيمة صادقة وثبات على المنهج الصحيح في تحصيل العلم ورعايته أوصلهم بفضل الله تعالى إلى ما أوصلهم إليه؛ من الإمامة في الدين، ولسان الصدق في المسلمين؛ وأورثهم فضلًا كبيرًا من الله عز وجل؛ إذْ جعلهم الله عز وجل من حَفَظَةِ دينه وأُمَنَاء شريعته؛ يعلّمون الناس أحكام دينهم، ويبيّنون لهم ما أنزل الله في كتابه من الهدى والبيّنات.

وقال يحيى ابن أبي كثير رحمه الله: (لا يستطاع العلم براحة الجسم) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وقال علي بن المديني: قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟!

قال: «**بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب**». ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ.

وهذا إنما يكون بالحرص على طلب العلم والنهمة فيه، حتى يتحمّل طالب العلم ما يلاقيه من المشقة في تحصيله.

وكان شعبة رحمه الله يقول: «**كم من عصيدةٍ فاتتني**» رواه العقيلي في مقدّمته.

كان إذا سمع بمجلس حديث خرج إليه، ولم ينتظر نضج الطعام؛ من إيثاره لطلب العلم وتحصيله على ما تشتهيه نفسه من الطعام.



وقال داود بن مخراق: سمعت النضر بن شميل يقول: (لا يجد الرجلُ لذَّةَ العلم حتى يجوع وينسى جوعه). ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام.

وهذا إنما يحصل للجادّين في طلب العلم؛ فإنهم من شدة انهماكهم في طلبه، واستئناس نفوسهم به، واشتغال أذهانهم بالفكرة في مسائله، قد يغفلون عن أنفسهم، وربما يجوع أحدهم فيماطلُ نفسَه حتى ينسَى جوعَه.

وصبر العلماء على شدائد التحصيل، أمرٌ يطول الحديث عنه، وفيه قصص عجيبة.

وأُرشد في هذا الباب إلى كتاب حسن الجمع والاختيار والترتيب للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، عنوانه: «صفحات من صبر العلماء على شدائد التحصيل».

وقد ذكر في كتابه أخباراً عجيبة عن صبر العلماء وما عانوه من الشدائد والأهوال، واحتمال الجوع وشدّة الفاقة، وما أصاب بعضهم في رحلاتهم من نفاد الزاد وقلة النفقة، وتعرّض قطّاع الطريق لهم، وما أصاب بعضهم من النكبات الشديدة من احتراق الكتب وغَرَقِها، وغيرها من أنواع الابتلاءات التي كانت تمحيصاً لهم؛ فثبت أهلُ العلم على طريق طلبه، ولم يَثْنِهم ما أصابهم عن طلب العلم، والدَأَبِ في تحصيله.

قال بقيّ بن مخلد: (إني لأعرف رجلا كان يمضي عليه الأيام في وقت طلبه العلم، ليس له عيش إلا ورق الكرنب الذي يُرمى).

والظنّ أنه يعني نفسه، فقد كان من الأعلام الذين لاقوا الشدائد في تحصيل العلم؛ وله في الصبر على شدائد التحصيل أخبار عجيبة؛ فمنها أنه كان من أهل الأندلس فركب البحر إلى المغرب الأقصى؛ ثم رحل سيراً على قدميه، من المغرب إلى مصر والحرمين والشام والعراق وتنقّل بين البصرة والكوفة وواسط وبغداد مشياً على قدميه، وجمع أكبر مسندٍ عرفه أهل العلم، وهو مسند بقيّ بن مخلد.



وقد روي عنه أنه قال: (سمعت من كل من سمعت منه في البلدان ماشياً إليهم على قدمي).

والقصص والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً، ويحسن بطالب العلم أن يكون له نصيب من القراءة في سير العلماء، والتفكّر في أحوالهم وآثارهم، والاستفادة من قصصهم وأخبارهم، ففيها عبر وفوائد عظيمة النفع لطلاب العلم.

والمقصود من التذكير بصبر العلماء على شدائد التحصيل أن يَهُون على طالب العلم ما يلقاه من الشدّة والمشقّة في طلب العلم إذا علم ما أصاب العلماء قبله، وأن يعلم أن الابتلاء سنة ماضية، وأن يعلم أن للصبر على طلب العلم ثمراتٍ عظيمة؛ فهو من دلائل الصدق في طلبه، وأسباب تحصيله ورسوخه ومعرفة قَدْره، وهو أيضاً من أعظم أسباب البركة فيه، فكم من رحمة تنزّلت على طالب العلم بسبب صبره على ما أصابه في سبيل الله وهو يطلب العلم إيماناً واحتساباً، وكم من بركة جعلها الله في علمه لمّا صدق في طلبه وأخلص فيه لله تعالى.





الفصل الرابع: بيان أنواع الفتور في طلب العلم وأسبابه

ما يعتري طالب العلم من الفتور على نوعين:

النوع الأول: فتور تقتضيه طبيعة جسد الإنسان، وما جُبل عليه من الضعف والنقص؛ وهذا من طبائع النفوس والأجساد، لا يُلام عليه الإنسان، وقد روى ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيح، عن عبد الله بن عمر بن العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِك فَقَدْ هَلَكَ» وأخرجه أيضًا الإمام أحمد، والطحاوي، وابن حبان.

ورُوي أيضًا من حديث أبا هريرة، وابن عباس، وأبي أمامة الباهلي، وجعد بن هبيرة بألفاظ متقاربة.

فكلَّ عمل يعمله الإنسان له شرّة ونهمة يجدها العامل في نفسه تحمله على الدأب فيه واستلذاذه واحتمال المشقة التي تصيبه في ذلك العمل.

ثمّ لكلّ شرّة فَتْرَةٌ وسُكُون؛ يقصر فيها العامل عمّا كان يعمل في حال النهمة والاجتهاد وإقبال النفس على العمل.

فأمّا من كانت فترته إلى قصد واعتدال، فلا يخلّ بالفرائض؛ ولا يتقحّم المحرّمات؛ ولا يحيد عن منهاج السنة؛ فهو غير ملوم على تلك الفترة.

وأمّا من كانت فترته إلى انقطاع عن العمل الواجب، وإلى استرواح النفس إلى المحرّمات، وإلى سلوك غير سبيل السنة؛ فهو مذموم على ما أدّاه إليه فتوره، وهو على خطر من الهلاك بسبب ضلاله عن الهدى في تلك الفتنة.



ولله تعالى حكمة بالغة في تقدير هذا الفتور؛ فهو فتنة وابتلاء؛ يتميّز بها الصادق من الكاذب، ومن يريد اتّباع هدى الله عزّ وجلّ على كلّ حال، ومن يريد اتّباع هوى نفسه.

فأما العامل الصادق المخلص فيجعل من هذه الفترة استراحة له، يجمّ فيها نفسه، ويستروح إلى المباحات، وإلى تنويع العمل بما يدفع عنه السآمة، ليعود إلى العمل بجدّ واجتهاد.

وأمّا غيره فهو على خطر من الضلال في هذه الفتنة؛ بأنْ ينقطع ويدع العمل، أو ينحرف عن سبيل السنّة فتخفّ عليه الأهواء وتستجريه حتى يهلك بسبب زيغه عن السنة.

ولابن القيم رحمه الله كلامٌ حسن في أمر الفتور الطبيعي الذي يعرض للسالكين، وأنّ له حِكمةً بالغةً من الله عز وجل؛ فقال -رحمه الله- في مدارج السالكين:

(فتخلل الفترات للسالكين: أمر لازم لا بد منه؛ فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم رُجِيَ له أن يعود خيرا مما كان.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: إن لهذه القلوب إقبالا وإدبارا. فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل، وإن أدبرت فألزموها الفرائض.

وفي هذه الفترات والغيوم والحجب، التي تعرض للسالكين من الحكم ما لا يعلم تفصيله إلا الله، وبها يتبين الصادق من الكاذب.

فالكاذب: ينقلب على عقبيه، ويعود إلى رسوم طبيعته وهواه.

والصادق: ينتظر الفرج، ولا ييأس من روح الله، ويلقي نفسه بالباب طريحاً ذليلاً مسكيناً مستكيناً، كالإناء الفارغ الذي لا شيء فيه ألبتة، ينتظر أن يضع فيه مالك الإناء وصانعه ما يصلح له، لا بسببٍ من العبد - وإن كان هذا الافتقار من أعظم الأسباب - لكن ليس هو منك. بل هو الذي منَّ عليك به، وجرَّدك منك، وأخلاك عنك، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه.



فإذا رأيته قد أقامك في هذا المقام، فاعلم أنه يريد أن يرحمك ويملأ إناءك، فإن وضعت القلب في غير هذا الموضع؛ فاعلم أنه قلب مضيَّع؛ فسل ربه ومن هو بين أصابعه أن يردَّه عليك، ويجمع شملك به، ولقد أحسن القائل:

إذا ما وضعت القلب في غير موضع بغير إناء فهو قلبٌ مضيَّع

)ا.هـ.

وينبغي لطالب العلم أن يوطّن نفسَه على أمر الفتور الطبيعي، وأن يعرف لنفسه حاجتها إلى الاستجمام والراحة؛ ويدركَ أنَّ الدأب على العمل بجدٍّ ونشاط لا انقطاع معه أمرٌ غير ممكن، وإذا حمل الإنسان نفسه على ما لا يطيق؛ كان على خطرٍ من الإضرار بنفسه أو الانقطاع الطويل الذي يحرمه من الانتفاع بعمله.

وقد روي من حديث عائشة، وجابر بن عبد الله، وعبد الله عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ هذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبادَةَ اللهِ، فَإِنَّ المُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ وَلا ظَهْرًا أَبْقَى**».

وهذا الحديث لا تخلو طرقه من ضعف، لكن معناه صحيح، ويشهد له ما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إنَّ الدينَ يُسْرٌ، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبَه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدّلجة**».

وكان من هدي الأئمة أنهم يجعلون لفترتهم بعض الأعمال المعينة لهم على طلب العلم مما لا يستدعي كدّا ذهنياً، ولا جهداً بدنيّاً مرهقاً، كتهيئة الدفاتر، وبري الأقلام، وترتيب الكتب، وإعداد الفهارس.

ومنهم من ينشد الأشعار، ويقرأ في الدواوين وطرائف الأخبار، وبعضهم يتعاهد الرمي، وغير ذلك من الأعمال التي تُجّم النفس، وفيها نفع لطالب العلم.

ومنهم من يعمل أعمالاً أخرى متنوّعة من البرّ؛ فيدفع عن نفسه السآمة، ويعاود طلب العلم بجدّ واجتهاد.



وليحذر طالب العلم أن يغالبَ الفتورَ الطبيعي بإكراه النفس على الجدّ والاجتهاد؛ فالفتور لا يُعالج بمغالبته وقصد القضاء عليه، فذلك خلاف الفطرة، والسنن الماضية، وإنما يكون علاجه بإعطاء النفس حقَّها من الراحة والاستجمام في قصد واعتدال، وأن يجعل لحال فتوره من الأعمال ما يناسبها، حتى يتهيأ لمعاودة العمل بنشاطٍ متجدد، وعزيمة متوقّدة.

وينبغي أن يحرص في فترته إذا خشي طولها على ضبط حدٍّ أدنى من المراجعة، حتى يبقى مواظبًا على شيء من العلم، فلا ينقطع عن العلم انقطاعًا كليًا في مدّة فتره؛ لأنّ الانقطاع إذا استروحت إليه النفس وركنت إلى الراحة والدعة، ربّما طال أمده، فتثاقل عن معاودة طلب العلم.

ولذلك ينبغي أن يلزم طالب العلم نفسه بقدر لا يشقّ عليه من المراجعة والمذاكرة والقراءة؛ حتى إذا عاود التحصيل لم يكن قد خسر شيئاً كثيراً في فترته.

والنوع الآخر من الفتور: هو الفتور الذي يكون سببه ضعف اليقين وضعف الصبر، وهذا النوع مما يُلام عليه العبد.

وأسباب الفتور التي يُعَدّدُها بعض من يكتب في الفتور وعلاجه وأسبابه ومظاهره يمكن إرجاعها إلى هذين الأمرين: ضعف اليقين وضعف الصبر؛ لأنهما جامعان لآفات كثيرة.

وإذا ضعف اليقين والصبر؛ سلطت على الإنسان آفات من كيد الشيطان، وعلل النفس، وعواقب الذنوب، فلا يكون له سبيل إلى الخلاص منها إلا بالاعتصام بالله تعالى، وبالإلحاح عليه في الدعاء أن يرزقه العلم والإيمان، وأن يصرف عنه كيد الشيطان، وأن يعيذه من شره نفسه، ومن سيئات أعماله.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبه: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا».





فكيد الشيطان، وشر النفس، وعواقب الذنوب، من أعظم الصوارف عمَّا ينفع الإنسان في دينه ودنياه.

آثار ضعف اليقين:

وإذا ضعف اليقين في قلب طالب العلم؛ ضعفت عزيمته، ووهت قوّته، ودنت همّته، واحتجب عن القلب هدى الله عز وجل؛ فاتّبع هوى النفس، وافتتن بالدنيا، وغرّه طول الأمل، واستجراه الشيطان، حتى يغفل ويقسو قلبه؛ فتدبّ إلى طالب العلم آفات خطيرة تصرفه إلى طلب الدنيا ومتاعها العاجل.

وذلك لأنه قَصَر نَظَرَه عمَّا يجب عليه أن يقصدَه بعلمه، وغفل عن تحقيق الإخلاص لله تعالى، وابتغاء وجهه بما يطلبه من العلم، ورجاء فضله وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه، وغفل عن واجبه في القيام لله تعالى بعلمه كما أمره الله، ومتى ضعفت هذه الدوافع في قلب طالب العلم التفت قلبه إلى عاجل مُتع الدنيا، وطلب زينتها، ووجد في العلم ما يدعوه إلى الرياسة والترفّع به والتوصّل به إلى ما افتتن به من متاع الدنيا.

- وربما حمله ذلك على الرياء لطلب الثناء والتكثّر من المتاع الدنيوي.

- وربما حمله أيضًا على العجب بما عنده من قليل العلم؛ فتنمّر به وتكبّر؛ والعجب داء خطير، ماحق للبركة، جالب للنقمة، قاطع للعبد عن الاستعانة بالله تعالى والتوكّل عليه؛ فتنقطع عنه أسباب قوّته الحقيقة التي مدادها من الله تعالى، ويوكل إلى نفسه؛ فيضلّ ويشقى.

- وربما حمله أيضًا على كفران النعمة، ونسبة ما حصّله من العلم إلى نفسه ونظره واجتهاده، وغفل عن شكر نعمة الله تعالى عليه؛ فكان ذلك من أعظم أسباب محق بركة العلم، وموانع الانتفاع به.



فإنّ الله تعالى يحبّ الشكور من عباده الذي إذا أنعم عليه تلقّى نعمة الله تعالى بالفرح والتعظيم، والشكر والثناء، وأدّى حقّ الله فيها، واستعمل ما أنعم الله به عليه فيما يرضيه جلّ وعلا؛ فيبارك الله له فيما أنعم عليه ويزيده منه، ويرزقه الانتفاع به.

وهذا بخلاف حال كافر النعمة الذي يزدري نعمة الله عليه، وينسب ما أنعم الله به عليه إلى نفسه، ولا يؤدي حقّ الله تعالى في تلك النعمة، بل ربّما استعملها فيما يغضب الله عزّ وجلّ؛ فاستحقّ بهذا الكفر محق البركة وحرمان الانتفاع من العلم.

والناس في هذا الباب على درجات فمنهم المحسن في شكره فهذا بأعلى المنازل وأحبّها إلى الله، وأحراهم بالفضل والزيادة، ومنهم من يؤدّي الشكر الواجب، ومنهم من يؤدّي بعضه دون بعض، ومنهم من يقع منه كفر النعمة أحياناً، ومنهم من يكثر منه ذلك.

وإذا ضعف اليقين كان العبد على خطر من الوقوع في كفر النعمة، ومعاناة عقوبته، وسوء مغبَّته، وقبح آثاره.

وقد قال الله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾.

فالنعمة بالعلم النافع أعظم النعم لأنه السبيل إلى معرفة هدى الله تعالى، وسمّي هدى الله نعمة لقوّة ترتّب الأثر عليه، فمن استبدل به غيرَه فقد بدّل النعمة التي كانت قريبة المأخذ لو اتّبع هدى الله.

وبذلك يُعلم أن تبديل النعمة يكون بتبديل سببها، وهو هدى الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.





فهذا رجلٌ آتاه الله علمًا عرف به هدى الله تعالى، فاستبدل به غيره حتى انسلخ من تلك النعمة، فتسلّط عليه الشيطان وسلك به طرق الغواية، وأمعن في الضلالة حتى صار من الغاوين.

فمخالفة هدى الله تضعف اليقين في القلب، فتسهل الغواية، ويتسلط الشيطان.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

والمقصود التنبيه على أن لضعف اليقين آثاراً خطيرة، وأنه يولّد آفات أخرى تؤدّي بالعبد إلى الفتور.

آثار ضعف الصبر:

- وضعف الصبر كذلك يُنتج لصاحبه آفات تؤدّي به إلى الفتور؛

فمنها: وَهَن النفس، وضعف العزيمة، وسرعة التأثر بالأعراض، وطلب الأمور العاجلة التي لا يحتاج المرء فيها إلى الصبر.

والنار قد حفت بالشهوات، واتباع الهوى لا يحتاج فيه المرء إلى صبر، بل فيه ما تستروح إليه النفس ويخف عليها وتجد فيه لذة عاجلة تستلذها ما لم يمنعها من ذلك مانع اليقين بسوء العاقبة.

فإذا ضعف صبر الإنسان كان أسرع شيءٍ إلى اتباع هواه، وإلى الإخلاد إلى الأرض، وإذا اتبع المرء هواه وأخلد إلى الأرض، قسى قلبه، وطال أمله؛ وغرّته الأماني، ودبَّت إليه آفات كثيرة من العجز والكسل، والضعف والوهن، وسرعة الاستجابة للقواطع والشواغل، وسرعة التأثر بالعلل العارضة، وغيرها من الآفات التي تؤدي بصاحبها إلى الفتور.



التنبيه على أهمية الصبر واليقين:

إذا أحسّ طالب العلم من نفسه ضعفاً في اليقين أو ضعفاً في الصبر فليبادر إلى معالجة هذا الضعف بتقوية اليقين، وحمل النفس على الصبر على استقامة وسداد.

وإذا حصل للمرء يقين صادق بما جعله الله تعالى لطالب العلم من الثواب العظيم، والرفعة في الدنيا والآخرة، وأنه سبب لبركات عظيمة لا تخطر له على بال، ولا تدور له في خيال، ولا تقدر بثمن، عرف قيمة كل ساعة يقضيها في طلب العلم.

ذلك أن اليقين يُغذّي القلب، ويدفعه للعمل، ويحمله على احتمال المشاقّ بنفس مبتهجة ليقينه بحسن العاقبة.

وسأضرب لكم مثلاً يتّضح به تلخيص ما سبق بيانه، فلو أنّ رجلاً أراد السفر إلى أناس يحبّهم محبّة عظيمة، ويجد عندهم ما تشتاق إليه نفسه، وسار في طريق سفره إليهم حتى مرّ بمكان غير آمن، ومتاهة شديدة، فأضاع الطريق، ولم يعرف أين يوجّه مما يجد من الحيرة والتباس الطرق عليه.

فما هو فيه من ضعف اليقين بصحة الطريق له أثر بالغ السوء على نفسه، يعود عليه بضعف العزيمة، ووهن النفس، وتسلّط المخاوف.

فإذا أتاه مُرشِدٌ يعرف صِدْقَه وَحُسْنَ بيانِه؛ فبصّره بالطريق، وأخبره بالعلامات التي يعرف بها صحّة سلوكه، وأرشده إلى ما يأمن به من المخاوف، فإن كان عاقلاً فسيعرف لهذا المرشد حقّه، ويعتني بحفظ إرشاده، حتى لا يتيه عن الطريق، وكلما ظهرت له علامة من العلامات التي أخبره بها ازداد يقيناً بصدق قوله، وصحّة إرشاده، واطمأنَّ إلى سلوكه الطريق الصحيح الآمن، وقوي عزمه على مواصلة السير، وجمع همّته على بلوغ غايته، حتى إذا رأى أعلام المدينة التي يريدها من بعيد أيقن بصحة الإرشاد، ووجد من خفة النفس وشدة الشوق وقوة العزيمة ما يُذهب عنه كثيراً من العناء، ويحمله على مواصلة السير واحتمال المشقة.



فكذلك حال طالب العلم إذا أبصر ثمرات العلم النافع، ورأى علامات صحّة الطريق، ووجد آثار العلم في نفسه وحاله؛ فإنّه يحصل له من اليقين بصحّة منهج الطلب، ورجاء إدراك المقصد، ما يزيده حرصاً على طلب العلم والازدياد منه، فلا يلتفت إلى وساوس الشيطان وتثبيطه، ولا إلى أهواء النفس ورغباتها القاطعة له عن بلوغ غايته، بل يزداد اجتهاداً وتشميراً في طلب العلم.

وما أحسن قول ابن نباتة رحمه الله في ذلك:

أعاذلتي على إتعابِ نفسي ... وَرَعْيِي في السُّرَى روضَ السُّهَادِ

إذا شامَ الفَتى بَرْقَ المعالي ... فأَهْونُ فائتٍ طِيبُ الرُّقَادِ

وكل ساعة يمكثها طالب العلم في طلب العلم إيماناً واحتساباً خير له من الدنيا وما فيها، ولو أيقن طالب العلم بعظم الثواب المترتّب على طلب العلم لم يصرفه عنه إلا ما لا بدّ له منه.

ويكفيه أن يتدبّر الآيات والأحاديث الواردة في فضل طلب العلم، وفضل أهله؛ حتى يتيقَّن هذه الحقيقة.

ويكفيه يقينه بأن الملائكة تدعو لطالب العلم، وتستغفر له وتضع له أجنحتها في حال طلبه للعلم، وما كلّفهم الله بذلك وهم عباد مكرمون، إلا لشرف العلم وفضله، ومحبة الله تعالى للعلم وأهله؛ فإذا استقرّت هذه المعرفة في قلب طالب العلم؛ تمنَّى أن لا تمضي عليه ساعة إلا وهو يطلب العلم.

أسباب أخرى للفتور في طلب العلم:

تبيّن مما سبق أن السبب الجامع للفتور هو: ضعف اليقين، وضعف الصبر.

وللفتور أسباب أخرى يمكن إدراجها في هذين السببين، لكنَّ تفصيلها يفيد طالب العلم في التعرّف عليها، ومعرفة أصلها الحامل عليها، وكيف يتخلّص منها.



١. **فمن ذلك**: الرياء في طلب العلم، والرياء سببه ضعفُ اليقين؛ لأن الذي يوقن بمراقبة الله عز وجل له، ويوقن بأن ثواب الله عز وجل خيرٌ وأبقى، ويوقن بأنَّ الناس لا يملكون له نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله، لا يجد في قلبه انصرافاً إلى الخلق، بل كلّ شيء تطلبه نفسه يوقن بأنَّه يتهيّأ له بالإخلاص لله تعالى على أكمل وجه وأحسنه، حتى الثناء الذي تستلذّه بعض النفوس؛ عوّض الله المخلصين عنه بثنائه عليهم في الملأ الأعلى، وأين ثناء الخالق من ثناء المخلوقين؟!!

مع ما ينشره الله لأهل الإخلاص من الذكر الحسن والثناء الصادق من أهل الإيمان.

وكذلك محبّة الناس التي تحمل بعض العاملين على الرياء لإرضائهم، عوّض الله المخلصين عن بأن جعل لهم ودّاً في قلوب عباده، وأرضى الناس عنهم، وعاقب المرائين بأن أسخط الناس عليهم.

وكلّ مقصد يريد المرائي أن يتوصّل إليه بريائه يجد المخلص ما هو خير له منه بإخلاصه.

فوجودُ الرياء في قلب طالب العلم هو من أسباب ضعف اليقين بسوء عاقبة الرياء، وضعف اليقين بحسن ثواب الإخلاص في طلب العلم.

٢. **ومن ذلك**: العُجْب وهو من عِلَلِ النفس الخفيّة، وأدوائها الدويّة، التي كثيراً ما تحرم صاحبها التوفيق لتحصيل العلم النافع، لأن المعجَب بعلمه يغلب عليها استسهان ما لديه، والفرح بما عنده، وازدراء ما عند غيره، فيُعقبه ذلك الفتورَ في طلب العلم لأنه يرى من نفسه أنه قد بلغ غاية في الفهم والمعرفة لا يبلغها كثير من أهل وقته، ومتى أحسّ ذلك من نفسه لم يجد ما يحمله على تحمّل مشقّة الدأب في التحصيل العلمي.



ومن الناس من يجتهد في أوّل سنيّ الطلب ثمّ تدركه آفة العجب، فتذهب ببركة علمه حتى لا يكاد يُنتفع به.

وقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء عن رجلٍ كان من تلاميذ ابن جرير الطبري أنه حصّل علماً كثيراً، حتى تولّى القضاء والإفتاء، وكان مفسّراً ومحدّثاً ولُغَويّا، وله مؤلفات في القراءات والغريب والأحكام والسنن والتاريخ، وكان مستقلاً في اجتهاده لا يقلّد أحداً.

قال الذهبي: (كان من بحور العلم فأخمله العُجْب).

وقال الدارقطني: (كان لا يعدّ لأحد من الفقهاء وزناً).

فهذا الرجل لا يكاد يُعرف لدى كثير من طلاب العلم اليوم، مع كثرة ما حصّل من العلم، وكثرة مؤلفاته، ومعاصرته لأئمة كبار، وقد ذكر العلماء أن آفةَ خمولِه وزُهْدِ النَّاسِ في علمِه العُجْب.

٣. **ومن أسبابِ الفتورِ:** الحرصُ على المالِ والجاه والرفعة على الأقران والأقارب، وهذا الداء متى حلّ في القلب حتى يحمله على تعدّي حدود الله أفسده، وأذهب بهاءه وإشراقه، وأبدله شَرَهاً لا يشبع منه في طلب الدنيا والعلو في الأرض، وهو من أسباب الفتور عن طلب العلم؛ لأنه يحمل طالبَ العلم على استعجال الثمرة بسبب انصراف همّته إلى تحصيل مبتغاه من المال والشرف بالعلم؛ فإذا استطال الطريق ووجد ما ينال به مطلوبَهُ في غير العلم، أو في نُتَفٍ من ظاهرِ العلمِ أسرعَ إليه، وفرح به، فأورثه ذلك التثاقل عن الجدّ في طلب حقيقة العلم وإتقان فهم مسائله على الوجه الصحيح الشامل.

ومن كان كذلك حصل له فتور عن طلب العلم النافع، واشتغالٌ بما ملأ قلبه من تلك الشهوة الخفيّة ومظانّ إشباعها، وربما تصدّر قبل أوانه، فاشتغل بشؤون التصدر عن واجبات الطلب.



والواجب على طالب العلم متى وجد من نفسه حرصاً على المال والجاه يحمله على التفريط في الواجبات والتهاون في اقتراف المحرّمات أن ينهى نفسَه عن الهوى، ويُلزِمَها حدودَ الله تعالى، وأن يجتهد في إصلاح قصده، وإدراك حقيقة الحياة الدنيا، ومآل المغترّين بها، وأن يعالجَ قلبه بالبصيرة النافعة التي تكشف له عواقب الأمور بما بيّنه الله تعالى في كتابه وبيّنه رسوله صلى الله عليه وسلم.

٤. ومن أسباب الفتور: عواقب الذنوب؛ وهذا السبب قد يُغفل عنه على شدّة تأثيره، فإنّ العلم نعمة من الله تعالى تُحفظ بالطاعة والشكر، وتُضيّع بالعصيان والكفر.

والحرمان من العلم النافع مصيبة عظيمة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾.

والذنوب تُورِثُ الفتورَ عن الطاعات، وتُزِلُّ الأقدامَ عن الثبات، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾.

وكان وكيع بن الجراح الرؤاسي كثيراً ما يوصي طلاب العلم بترك المعاصي، وقال: ما جرّبت مثله للحفظ.

وكان معروفاً بقوّة حفظه؛ وكثرة مرويّاته؛ حتى كان يُضرب به المثل في الحفظ، وكان الحفّاظ يُسمّونه «التنّين» لأنه ما نزل في بلدٍ إلا انصرف الطلاب إليه، واشتغلوا بالسماع منه عن الحضور عند غيره.

قال علي بن خشرم: ما رأيت بيد وكيع كتابا قط، إنما هو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ، فقال: إن عَلّمتُك الدواء استعملتَه؟

قلت: إي والله.

قال: (ترك المعاصي، ما جربت مثله للحفظ). رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.





وقد أتاه الشافعي ليصف له ما يحفظ به العلم؛ فأوصاه بما كان يوصي به طلاب العلم من ترك المعاصي؛ فقال الشافعي في ذلك:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي … فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأنّ العلم نور … ونور الله لا يُعطى لعاصي

وبعض الذنوب قد يُتهاون فيها وهي سريعة الأثر في الحرمان من بركة العلم، كخيانة أمانة العلم، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، والتفاخر على الأقران، والوقيعة في الأعراض، ولا سيما أعراض العلماء، وكم حرم بسبب هذه الآفات من محروم.

فيجب على طالب العلم أن يتحرّز من الذنوب والمعاصي، وأن يُلزم نفسه التقوى، حتى يُتقبّلَ منه، ويباركَ له في علمه.

٥. **ومن الأسباب التي قد تؤدي إلى الفتور:** تحميل النفس ما لا تطيق؛ من الدأب المرهق، والإكثار المملّ، والتوغّل غير الرفيق، ومجاراة من لا يمكنه مقاربتهم، وحرمان النفس حقّها من الغذاء والنوم والراحة؛ وإكراهها على ما يشقّ عليها، ولا تطيق المداومة عليه برفق.

ومن حمّل نفسه ما لا تطيق انقطعت به عن مواصلة الطريق، وربّما نفرت من العلم جملة، أو سلكت فيه مسلكاً منحرفاً يخفّ عليها كما فعل بعض الغلاة من أهل الأهواء.

٦. **ومن الأسباب التي قد تؤدي إلى الفتور:** العوائد الخاطئة في طرق طلب العلم؛ وضعف طريقته في الدراسة والقراءة والمذاكرة، ومن الطلاب من يكثر القراءة ولا يحصّل تحصيلاً ذا بالٍ؛ لإخلاله بضبط مقاصد الدروس، وتفهّم مسائلها، وعشوائيته في القراءة؛ فلا يجد من نفسه تحصيلاً علمياً يناسب ما يبذله من الجهد بعد مدّة من الطلب، فيفتر عزمه لشدّة ما يجد من العناء، وقلّة ما يرى من التحصيل، ولو تأمّل السبب في ذلك لوجد أنه عائد إلى طريقة دراسته ومذاكرته.



ولذلك ينبغي لطالب العلم أن يسلك في طلبه للعلم طريقة ميسرة غير شاقة، ومنظّمة غير مضطربة، ومتقنة غير ضعيفة.

ولا بدّ له في أوّل طلبه للعم أن تكون دراسته تحت إشراف علمي، ليفيدَه أستاذُه ببيان جوانب الإجادة والتقصير لديه، ويقوّم طريقته وتحصيله، ويرشده إلى ما يصحّح به طريقة دراسته ويحسّنها.

٧. ومن أسباب الفتور التي لها تأثير نفسيّ على كثير من طلاب العلم: الموازنات الجائرة؛ فيوازن نفسه بكبار العلماء، وكبار القرّاء والحفّاظ؛ فإذا رأى أنه لا يُطيقُ ما أطاقوه، ولا يتمكَّنُ من محاكاتهم ومجاراتهم؛ عاد على نفسه باللوم والتعنيف، وربما قاده ذلك إلى الفتور والانقطاع لما يرى من الفرق الكبير بين تحصيله وتحصيلهم، وقدرته وقدرتهم، فيلقي الشيطان في نفسه أنه لن يبلغ مبلغهم، ولا مطمع له في اللحاق بهم، وهذه حيلة من حيل الشيطان صرف بها عدداً من طلاب العلم عن مواصلة الطلب، ولو أنّهم صبروا على ما كان متيسرًا لهم ولم ينقطعوا، واعتبروا بحال أولئك العلماء في أوّل طلبهم للعلم؛ لرجي لهم بمداومتهم على طلب العلم، وصدقهم وإخلاصهم أن يصلوا إلى ما وصل إليه كثيرٌ من العلماء.

٨. ومن أسباب الفتور المؤثرة: الرفقة السيئة؛ ولا سيّما لدى من كان في قلبه نوازع إلى الاستمتاع ببعض شهوات الدنيا أو تأثّر ببعض الشبهات فإنّ تسلّط الرفقة السيئة عليه يزداد أثره، ويعظم خطره لأنّهم يأتونه من مواضع ضعفه، ويدخلون عليه من الأبواب التي قصّر في حفظها.

وأقلّ ما يصيبه منهم الإلهاءُ عن طلبِ العلم، والاسترواحُ إلى الراحة والدَّعَةِ، وتزجية الأوقات في فضول المباحات؛ فإذا اعتادت النفس ذلك فترت عزيمتها عن الاجتهاد في طلب العلم.

ولذلك ينبغي أن يختار طالب العلم رفقة صالحة، تدلّه على الخير، وتعينه عليه، وأن يحذر رفقاء السوء، ويتجنّب مخالطتهم، وأن يتفقّد قلبه وجوارحه، ومواضع الضعف لديه؛ فيصلح ما يجب أن يصلحه، ويحصّن نفسه من تسلّط الشيطان ورفقاء السوء.

٩. ومن أسباب الفتور: افتتان الإنسان بالدنيا وتطلعه إلى متاعها وزينتها؛ وافتتانه ببعض شهواتها؛ فالافتتان بالدنيا داء إذا تمكن من القلب أفسده، وإذا التفت طالب العلم إلى الدنيا صرفته عما ينفعه من العلم والعمل، وفتنته بزينتها وصرفت همّته إلى متاعها وملذّاتها.

ومن علامات توفيق طالب العلم زُهْدُه في الدنيا، وحفظ قلبه من فتنتها، ولا يضرّه بعد ذلك أن يأخذ منها ما يتبلّغ به ويتقوّى به على طاعة الله عز وجل وعلى طلب العلم.

ومن تبصّر بحقيقة الحياة الدنيا زهد فيها، وعلت همّته إلى ما رغّب الله فيه من الاستعداد للحياة الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

والزهد في الدنيا من أسباب محبة الله عز وجل للعبد، كما في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ**» رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

وكلما كان العبد أزهد في الدنيا على استقامة وسداد؛ كان أقرب إلى نيل محبة الله عز وجل، ولهذه المحبّة آثارها المباركة على طالب العلم في نفسه ووقته وعلمه.

١٠. ومن أسباب الفتور المشتهرة: التذبذبُ بين مناهج طلب العلم؛ فيقرأ في كتاب ولا يتمّه، ويدرس كتاباً عند شيخٍ ثمّ ينتقل عنه إلى غيره بلا سبب موجب، ويكثر من التنقّل بين الكتب والمناهج والشيوخ حتى يمضي عليه زمن يتقدّم فيه أقرانُه، وهو لم يحصّل تحصيلاً يعتمد عليه، فيَفْتُرُ عزمُه عن مواصلة طلب العلم.





وهذا الصنف قد أُتِيَ من قِبَلِ ضعف البصيرة في منهج طلب العلم؛ فينبغي لطالب العلم إذا سار على خطةٍ صحيحة في طلب العلم، أن يثبت عليها ولا يدعها بلا سببٍ موجب، حتى يبلغ الغاية فيها، وينتفع بها.





الفصل الخامس: بيان علاج الفتور في طلب العلم

الكلام في علاج الفتور مؤسَّسٌ على ما تقدّم من بيان أسباب الفتور في طلب العلم وآثاره؛ ولذلك فإن **أعظم ما يعالج به الفتور**: **تحصيل اليقين** و**تحصيل الصبر**؛ وهذا أصل العلاج الذي يعالج به الفتور، وبقيّة ما يُذكر في علاج الفتور إنما هو تبع لتحصيل هذين الأصلين ومعينٌ عليهما.

واليقين أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده، وهو أصل النجاة من كلّ فتنة، والسلامة من كلّ معصية، والعون على كلّ طاعة، وصاحب اليقين يسهل عليه من الصبر ما لا يسهل على من ضعف يقينه.

وقد روى الإمام أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وابن أبي شيبة، والنسائي، والترمذي، وغيرهم، من طرق أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قام خطيبًا على المنبر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة فقال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عامَ الأوَّل ثم بكى أبو بكر.

ثم قال: (**سَلُوا الله العفوَ والعافية؛ فإنَّ الناسَ لم يُعْطَوا بعدَ اليقينِ شيئاً خيراً من العافيةِ، وعليكم بالصِّدقِ فإنَّه مع البرّ، وهما في الجنة، وإيَّاكم والكذب؛ فإنه مع الفجور، وهما في النار، ولا تقاطعوا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا إخواناً كما أمركم الله عزَّ وجلَّ**).

والشاهد قوله: (**فإنَّ الناسَ لم يُعْطَوا بعدَ اليقينِ شيئاً خيراً من العافيةِ**).

فكانت نعمة اليقين أعظم من نعمة العافية، وبيان ذلك أن اليقين يُثمر في قلب الموقِن البصيرة في الدّين، وقوَّةَ العلمِ والتصديق بما أخبر الله تعالى به، وأخبر



به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حتى يجد أثر هذا التصديق في قلبه ونفسه وجوارحه.

فيكون في قلبه من الخشية والإنابة، والرغبة والرهبة، والمراقبة لله تعالى، والشوق إلى لقائه، والفرح بفضله، ما يصلح به ذلك القلب ويحيا ويستنير؛ فتصلح الجوارح كلها بإذن الله، ويصلح العمل كله، ويهون على العبد احتمال ما يجد من المشقّة في الطاعات، ويهون عليه ترك المعاصي؛ لما قام في قلبه من البصيرة التي عمادها اليقين بالله تعالى والتصديق بوعده، والخوف من سخطه وعقابه.

ومما يبين ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين: «**ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا**» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهؤلاء المنافقون لو كان عندهم يقين بما أعدّ الله عز وجل للمصلين في صلاة العشاء وصلاة الفجر؛ لأتوهما ولو حبوًا، ولا يخفى على المتأمّل ما في الحَبْوِ من البيت إلى المسجد من المشقّة العظيمة؛ لكن متى حلَّ اليقينُ في القلبِ هانَ عليه احتمالُ تلكَ المشقّة، بل يحتملها وهو منشرح الصدر فرحاً مسروراً لما يرجو من الظفرِ بالثواب العظيم، والفضل الكبير.

ولكنَّ المنافقين لما غاب عنهم اليقين بالثواب والعقاب، وغلبت على قلوبهم الفتنة بالدنيا، وغرتهم الأمانيّ هان عليهم ترك الصلاة.

ومما يعين على اكتساب اليقين: إقبال القلب على الله تعالى؛ وطلب الهدى منه جل وعلا، وكثرة الذكر والتذكر، ومعاودة التفكر والتدبر، حتى يكون العلم يقينياً يقرّ في قلب صاحبه، فيحيا به، ويبصر به، ويتكلم به، ويقوم به، ويمشي به، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.



وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

فالعلم المراد هنا هو علم اليقين؛ وهو مستمد من التصديق والإيمان.

بمَ يُنال الصبر؟

وأما الصبر فينال ببذل أسباب تحصيله من الدعاء والتوكّل والتصبر والتبصر، وهذه الأمور الأربعة قد جمعها النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن بيان وألطف تنبيه كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلم يسأله أحد منهم إلا أعطاه حتى نفد ما عنده، فقال لهم حين نفدَ كلُّ شيء أنفقَ بيديه: «**ما يكن عندي من خيرٍ لا أدَّخرُه عنكم، وإنه من يستعف يعفُّه الله، ومن يتصبَّر يصبّره الله، ومن يستغنِ يغنِه الله، ولن تُعطَوا عَطَاءً خيراً وأوسعَ من الصَّبر**».

- **فأمّا الدعاء** فلأجل وصف الصبر بأنّه عطاء، والعطاء يُسأل من المعطي، وقد أثنى الله تعالى في كتابه على من سأله الصبر ثناء يدلّ على محبّة الله تعالى لسؤالهم، ومنّته بإجابته، وحثّ للمؤمنين على الاتساء بمن أثنى عليهم في ذلك.

- **وأما التوكّل فدلالة الحديث عليه من وجهين:**

أحدهما: أن التصبّر فيه تفويض لمن بيده التصبير، واستعانة به ليُمدّه بالصبر.

والوجه الآخر: أن الصبر المبنيّ على الإيمان بالله وتصديق وعده توكّل على من بيده حسن العاقبة والقدرة على الوفاء بالوعد.

فالمتصبّر المحتسب متوكّل على الله.

- **وأما التصبر** فدلالة الحديث عليه ظاهرة، وفيه وعدٌ للمتصبّر بأن يُعطى الصبر عطاءً لا حرجَ معه، ولا تكليف فيه بما لا يطاق، بل هو عطاء واسع جميل.



- **وأمّا التبصر** فالمراد به العلم اليقيني الذي تحصل به البصيرة النافعة بحسن عاقبة الصبر، ومحبة الله له ولأهله، ومعيّته الخاصة لهم، وأن الله لا يخلف وعده للصابر ولا يخذله، ولا يقطع عنه عونه وتوفيقه، وأنّ في الصبر على ما يكره المرء خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر؛ فكلُّ ذلك من التبصُّر المعين على تحصيل الصبر واعتياده والرضا به عطاءً واسعاً مباركاً.

ومن تأمّل النصوص الواردة في الصبر وفضله ومنزلته من الدين وما وعد الله به الصابرين حصل له من التبصّر ما يعينه على الصبر إيمانا واحتساباً.

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ وتعليل الأمر بهذه العلّة المنبّهة على ما يستعين به المرء على الصبر دليل على أثر التبصّر في الإعانة على الصبر.

ولذلك ينبغي لطالب العلم إذا وجد في نفسه ضعفًا وفتوراً أن يبادر إلى معالجته بتحصيل اليقين والصبر؛ وأن يكون على بصيرة بأنّ الله تعالى لا يضيع أجر صبره على طلب العلم، ولا مكثه في حلقات العلم، ولا قراءته لكتب أهله العلم، وتفهّمها، لا يضيع من ذلك شيءٌ مهما قلّ؛ فإذا تبصّر بذلك طالب العلم هان عليه التصبّر على طلب العلم.

والمقصود أنّ أصل علاج الفتور في طلب العلم تحصيل اليقين، وتحصيل الصبر.

٣، ٤. ومما يُدفع به الفتور في طلب العلم سببان مهمّان مؤثّران، وهما: الفرح بفضل الله تعالى، وشكر نعمة الله.

وهذان العملان من آثار اليقين، ولهما أثر عظيم في باب التوفيق والخذلان، وفي باب القضاء والقدر؛ فإنّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد قدَّر الأقدارَ خيرها وشرَّها، وجعل لتقدير الخير أسبابًا، ولتقدير الشر أسبابًا.



وهذان السببان من أعظم أسباب تقدير الخير، وتركهما من أعظم أسباب تقدير الشرّ.

والتوفيق لطلب العلم نعمة عَظيمة؛ من تلقّاها بالفرح بفضل الله تعالى، ومعرفة قَدْرِ هذه النعمة، وشكر الله تعالى عليها؛ رُجي له أن يوفّق لطلب العلم، وأن ينتفع به، وأن يُبارك له فيهن وأن يُدفع عنه ما يحول بينه وبين الانتفاع به.

وهاتان الخصلتان إذا رسختا في قلب طالب العلم، وتمكّنتا من نفسه؛ وانتهجهما في حياته؛ فُتِح له بهما أبواب من الفضائل والبركات والخيرات العظيمة؛ فإنَّ الله عز وجل يحبُّ من يفرحُ بفضله ورحمته ويشكرُ نعمتَه ، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾.

وقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾.

وينبغي لطالب العلم أن يعتني بأمر العبادات القلبية عناية عظيمة؛ ولا سيّما فيما يتّصل بتعلّمه العلم وقيامه به ورعايته له؛ فمن جاهد نفسه لإحسان التعبّد لله تعالى بطلب العلم، وعرف قدر نعمة الله تعالى عليه بما فتح له من أبواب العلم ، وبما علّمه وفهّمه؛ وعرف أن لهذا التعليم والتفهيم واجباً من الاعتراف لله تعالى بفضله، والشكر له على إحسانه؛ ورعاية حقّ العلم الذي تعلّمه، كان دائم التقرّب إلى الله تعالى بهذا العلم، وكان علمه بركة عليه، وسبباً موصلاً إلى رضوان الله تعالى وفضله العظيم، ودافعاً لكثير من مكائد الشيطان وتوهينه.

ومن سلك في التعلّم هذا المسلك الرشيد من حسن التقرّب الله تعالى، قاده ذلك إلى الحرص على تعلّم العلم النافع بنيّة صالحة، والاهتداء به، وتعليمه ودعوة الناس إليه؛ فإنه على سبيل الهداية الذي يحبّه الله، ويحبّ السائر فيه، ويؤيّده ويعينه.



وإذا أحب اللهُ عزَّ وجل عبداً من عباده، ورضي عمله توالت عليه الرحمات والبركات والفضائل، وزاده الله هداية وتوفيقاً، وبركة وتفضيلاً ما دام متّبعاً لرضوان الله تعالى؛ فَرِحاً بفضله، شاكراً لأنعمه.

وقد بيّن الله تعالى في كتابه أنّ ما يعلمه من قلوب عباده من الشكر هو سبب اختصاصهم بفضله ومنّته عليهم بالهداية والتوفيق؛ كما قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

وتدبّر هذه الآية العظيمة يبيّن للمتدبّر أثر الشكر في منّة الله تعالى على عباده، وما يفيض به على قلوبهم من الهداية والتبصير، لأنها قلوب طيبة صالحة شاكرة؛ فيحبّها الله، ويزيدها من عطائه وفضله، لأنه يعلم أن إنعامه عليها؛ إنعام على محلّ طيّب قابلٍ للنعمة، فرح بفضله، شاكر لربّه، تظهر عليه آثار النِّعَم؛ أعمالاً صالحة، وأقوالاً طيبة، واستقامة على طاعة الله تعالى، وقياماً بأمره، ونصرة لدينه، وجهاداً في سبيله.

بخلاف القلوب الفاسقة والفاجرة التي تتغافل عن فضل الله تعالى وتجحده، ولا تعرف له قدراً، ولا يرعى له حقّاً، ولا تثني به على ربّها، فهؤلاء قلوبهم قاسية خبيثة كالأرض الخبيثة التي لا تنبت مهما سقيت، وإن أنبتت كان نباتها قليلاً نكداً كثير الآفات؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

فهذا المَثل القرآني الذي ضربه الله للقلوب الطيّبة والخبيثة بالبلدان الطيّبة والخبيثة لا يفقهُ مقاصدَه حقَّ الفِقْهِ إلا الشاكرون الذين عمروا قلوبهم بشكر الله تعالى، ورعاية حقّه، واتّباع رضوانه.

والمقصود أن هذين السببين من أنفع الأسباب لمعالجة الفتور في طلب العلم.

٥: ومما يعالج به الفتور: تذكير النفس بفضل العلم وشرفه؛ فإنّ النفس إذا طال عليها الأمد واشتغلت بكثير من العوارض والملهيات ربّما نسيت بعض فضائل العلم، فأثّر ذلك فيها فتوراً عن طلبه، وذلك ينبغي لطالب العلم أن يتعاهد قلبه بإزالة حجب الغفلة والقسوة عنه، ومن ذلك معاودة تذكّر فضائل طلب العلم من وقت لآخر، والتذكر النافع يعالج به المرء كثيرًا من الآفات بإذن الله عز وجل.

٦: ومن الأسباب المعينة على معالجة الفتور: ترك الفضول والإعراض عن اللغو؛ ولا يستقيم لطالب العلم حصول طلب العلم على الوجه الصحيح المُرضي، وهو لا يعرض عن اللغو، وقد بيّن الله تعالى في كتابه الكريم أنّ الإعراض عن اللغو من أعظم أسباب الفلاح، وجعله بعد الصلاة مباشرة في ذكر أسباب الفلاح؛ فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾.

فمن أعظم أسباب الفلاح: الإعراض عن اللغو، والجمع بين الصلاة والإعراض عن اللغو؛ فيه تنبيهٌ على أن النفس كالنبات، تحتاج إلى غذاءٍ يُقوّيها، وإلى وِقَاية تحميها؛ فالصلاة غذاءٌ للرُّوحِ، والإعراضُ عن اللَّغْوِ حِمايةٌ؛ بل هو أصل من أعظم أصول السلامة من الفتن والآفات.

وذلك أن كثيراً من الآفات إنما كان مبدأ تسلطها على الإنسان بسبب عدم إعراضه عن اللغو؛ واتباعه لفضول النظر، وفضول السماع، وفضول المخالطة، وفضول الكلام، وكلّ ذلك مما يؤدّي بالمرء إلى اللغو الذي لا فائدة منه، وأقلّ ما يصيبه منه شتاتٌ يجده في نفسه، وضعف في عزيمته، ووهن في قوّته، وذهابُ كثيرٍ من وقته في غير فائدة يجتنيها، ولا علم يحصّله.

وكثير من أبواب العلم يحتاج طالب العلم فيها إلى استجماع قوّته الذهنية، والإقبال على تعلّمه بجد واجتهاد وتركيز، ومن كان لا يعرض عن اللغو فإنّه لا يتأتّى له هذا الإقبال الحسن على تعلّم العلم.



ولذلك فإنَّ طالب العلم الذي لا يعرض عن اللغو أكثر عرضة للإصابة بالفتور، ومن أهمّ ما يوصى به من ابتلي بذلك أن يربّي نفسه على الإعراض عن اللغو.

٧: ومما يعالج به الفتور: معرفة قدر النفس، وعدم تحميلها ما لا تطيق؛ فإنّ النفس إذا حُمّلت ما تطيق سئمت وعجزت وانقطعت، ومداومة طالب العلم على قَدْرٍ من التعلّم ولو كان قليلاً أنفعُ له من إتعاب نفسه بما يشقّ عليه حتى يعجز عنه وينقطع.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قلَّ**».

وهذه قاعدة ينبغي لطالب العلم أن يبني عليها تنظيم وقته وتحصيله العلمي، وهي أن يداوم على مقدار من التحصيل اليومي بما لا يشقّ عليه؛ فإنّه بذلك يحصّل علماً غزيراً بمرور الأيّام والشهور والأعوام، وينمو تحصيله العلمي نموّاً متوازناً مباركاً.

٨: ومما يعالج به الفتور: التحرّز من علل النفس الخفية وأهوائها المردية؛ التي قد يحرم بسببها من بركة العلم أو التوفيق لتحصيله، كالعجب والغرور، والمراءاة والتسميع، وحب الرياسة والعلو في الأرض، والتكلّف والمراء، واستكثار العلم، والتفاخر به، والتعالي على الأقران، وغير ذلك من الأدواء المردية.

ولذلك ينبغي لطالب العلم أن يتعاهد نفسه بالمحاسبة، والتفتيش عن دواخلها، ومراجعة مقاصده من تعلّم العلم، وامتثاله لآداب طلبه، والتحقق من سلامته من تلك الآفات.

٩: ومما يعالج به الفتور: تنظيم الوقت؛ وتقسيم الأعمال إلى أقسام يوزّعها على جدول وقته بما يتسّر له المداومة عليه؛ فيحصل بهذه التجزئة وهذا التنظيم - بعد توفيق الله تعالى - إنجاز أعمال كثيرة من غير إرهاق للنفس، ولا شعور بالسآمة والملل.

وشعور المرء بإنجاز يمكنه البناء عليه، والترقّي منه إلى غيره يدفعه إلى مواصلة طلب العلم بعزيمة متجدّدة، وهمّة عالية.

وقد كان الشوكاني -رحمه الله- كثير التأليف، ألّف كتباً كثيرة في علوم متنوّعة، وقد ذُكر عنه أنه كان لا يمرّ عليه يوم إلا وكتب فيه شيئاً ولو كان صفحة أو صفحتين.

وهذه المداومة أثمرت له البركة في عمله حتى قدّم للأمّة كتباً كثيرة عظيمة النفع.

واستمعت إلى لقاء أجري مع المحقق العراقي المعاصر الدكتور بشّار بن عوّاد معروف، وهو ممن يُتعجّب من كثرة تحقيقاتهم وجودتها؛ فقد حقق أكثر من ثلاثمائة كتاب، وتحقيقاته في الذروة العليا من الجودة.

والتحقيق المُتقن عَمَلٌ شاقّ، لما تستلزم من تحصيل المخطوطات، وفحصها، والتوثّق من صحّتها، وقراءتها، والموازنة بين النسخ المخطوطة، وتوثيق النقول، وتخريج الأحاديث، وترجمة الرواة، والتعليق على المواضع المشكلة، وإعداد الفهارس، وتهيئة الكتاب للطباعة، ومراجعته، وكل تلك الأعمال الشاقّة يجمعها المحقق ليخرج للأمّة كتاباً صحيحاً كما أراده مؤلّفه.

وقد سُئل في ذلك اللقاء عن سرِّ غزارة إنتاجه العلمي مع جودته؛ فذكر أنّه كان يُلزم نفسَه بأن لا يقلَّ إنجازه اليومي عن ملزمة (١٦ صفحة)؛ فكان يداوم على هذا المقدار يومياً لا يخلّ به، وإذا عرض له عارض عوّض هذا المقدار في وقت آخر، وهذه المداومة التي بورك له فيها أثمرت له هذا الإنتاج العلمي الغزير.



والمقصود تنبيه الطالب على تنظيم وقته، وتجزئة أعماله العلمية، ومحافظته على حدّ أدنى من التحصيل اليومي يداوم عليه ما استطاع.

١٠: ومما يعين على علاج الفتور: أن يسلك طالب العلم في طلبه للعلم منهجًا صحيحًا موصلًا إلى غايته بإذن الله؛ وأن يحذر من التذبذب بين المناهج والكتب والشيوخ، وأن يسير على خطة منتظمة، فكلما وجد من نفسه جدًا، ونشاطًا؛ سار مرحلة فيها حتى يتمها، وإذا عرض له فتورٌ، عرف الموضع الذي وصل إليه، فإذا عاوده النشاط والجد واصل طلبه من حيث انتهى حتى يصِل بإذن الله عز وجل إلى مبتغاه.

١١: ومما يعالج به الفتور: اختيار صحبةٍ صالحة تعينه على طلب العلم، فتعاونون ويتنافسون، وليحذر كلّ الحذر من الصحبة السيئة، ومصاحبة البطّالين.

١٢: ومما يعالج به الفتور: الحرص على بذل العلم؛ فإن العلم يزكو بتبليغه وتعليمه، كما قال أبو إسحاق الألبيري رحمه الله:

وكنز لا تخاف عليه لصًّا ... خفيف الحمل يوجد حيث كنتَ
يزيد بكثرة الإنفاق منه ... وينقص إن به كفًّا شددتَ

ومن اشتغل بالتعليم والإرشاد والإفادة بنيّة صالحة بورك له في علمه، ودفعه ذلك إلى الازدياد من العلم لكثرة ما يعرض له أحوال الناس وأسئلتهم التي تستدعي البحث والقراءة والنظر والتأمّل وسؤال أهل العلم.

فإذا وفّق طالب العلم لحسن التعليم والإرشاد مع التثبّت فيما يقول، والتحرّز من القول بغير علم، وادّعاء ما ليس عنده، ورُزق التواضع وصلاح القصد فإنّه يرجى له أن يوفّق لعلم كثير مبارك، وأن يدفع عنه اشتغاله بالتعليم والإفادة أعراض الفتور في طلب العلم.

١٣: ومما يعالج به الفتور: قراءة سير العلماء السابقين؛ ففيها فوائد جليلة من التثبيت والتبصير، والتعريف بعوارض الطريق وعوائقه، وسننه وابتلاءته، وعاقبة المتبصّرين الصابرين، وفيها تجديد للعزيمة، وإعلاء للهمة، وترقيق للقلب، ومداوة للنفس من كثير من العلل.

ولا يكاد يُبتلى طالب العلم بأمرٍ إلا وقد ابتلي بأعظم منه أئمةٌ من العلماء قبلَه؛ فينظر في أحوالهم، ويتبصّر بهديهم؛ وينتفع بأخبارهم وآثارهم ووصاياهم.

١٤: ومن أهمّ ما يعالج به الفتور: الحرص على أسباب التوفيق لتحصيل العلم والبركة فيه من بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الناس، ولا سيما الضعفاء والمساكين والجيران، وصدقة السر، وكثرة الاستغفار، ودوام الالتجاء إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى على بصيرة؛ فكلُّ ذلك من أسباب التوفيق التي ينبغي لطالب العلم أن يحرص عليها؛ وكم شوهد من فرق عظيم بين رجلين يدأبان معاً في التحصيل العلمي ثم يتفاوتان كثيراً في بركة العلم والانتفاع والارتفاع به، وإذا فُتّش الأمر وُجدَ للمرتفع بالعلم نصيبٌ وافرٌ من هذه الأعمال التي يذكرها عنه من يعرف سيرته.

وليعلم طالب العلم أن مردّ الأمر كلّه إلى الله تعالى؛ فلا يكون شيء إلا بإذنه، ولا تنفع الأسباب إلا بعونه وتوفيقه؛ فليجتهد في التضرّع إليه، والتقرّب إليه بما يحبّ، وسؤاله العلم النافع، والعمل الصالح، والقلب الخاشع، واللسان الصادق؛ فمن استجيب له انتفع بما يُرشد إليه.

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم من أهل العلم والإيمان، وأن يصرف عنّا كيد الشيطان، وأن يقينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن يدخلنا في رحمة منه وفضل، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آلهِ وصحبه أجمعين.



قائمة المراجع

١: **مصنف عبد الرزاق**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢: **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
٣: **مصنف ابن أبي شيبة**، أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، مكتبة الرشد، الرياض.
٤: **مسند الإمام أحمد**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥: **صحيح البخاري**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، عناية: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.
٦: **الأدب المفرد**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق.
٧: **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ)، عناية: نظر الفريابي، دار طيبة، الرياض.
٨: **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب، بيروت.
٩: **سنن أبي داود السجستاني**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار المنهاج.
١٠: **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
١١: **سنن النسائي الصغرى (المجتبى)**، أحمد بن علي بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا.
١٢: **الضعفاء**، محمد بن عمرو العقيلي (ت: ٣٢٢هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢٠هـ.
١٣: **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن حمدويه الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: سليمان الميمان وأيمن الحنيحن، دار الميمان، الرياض.



١٤: **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
١٥: **الرحلة في طلب الحديث**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيبُ البغدادي (ت:٤٦٣هـ): تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦: **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت.
١٧: **مجموع الفتاوى**، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.
١٨: **تاريخ الإسلام**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
١٩: **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٠: **مدارج السالكين**، ابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: جماعة من أساتذة العقيدة بجامعة القصيم، دار الصميعي، السعودية.
٢١: **مفتاح دار السعادة**، ابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: علي الحلبي، راجعه: بكر أبو زيد، دار ابن عفان، السعودية.
٢٢: **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، ابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، تحت إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، السعودية.
٢٣: **فتح الباري**، أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: نظر الفريابي، دار طيبة، الرياض.
٢٤: **صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل**، عبد الفتاح أبو غدة الحلبي الحنفي (ت: ١٤١٧هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا.
٢٥: **حلية طالب العلم**، بكر بن عبد الله أبو زيد (ت: ١٤٢٩هـ)، دار العاصمة، الرياض.
٢٦: **دليل المعلم لشرح ثلاثة الأصول وأدلتها**، عبد العزيز بن داخل المطيري، معهد آفاق التيسير، الرياض.
٢٧: **أعمال القلوب**، عبد العزيز بن داخل المطيري، معهد آفاق التيسير، الرياض.
٢٨: **القراءة العلمية**، عبد العزيز بن داخل المطيري، معهد آفاق التيسير، الرياض.

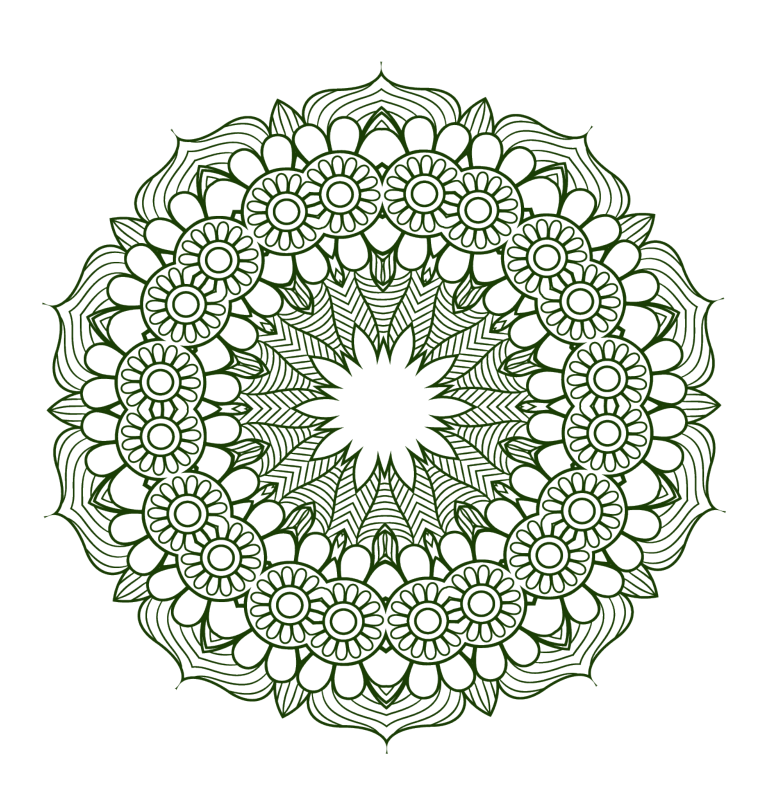


الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**٥**
الفصل الأول: التذكير بأن إقامة الدين لا تكون إلا بالعلم والإيمان	**٧**
الفصل الثاني: التذكير بسنة الابتلاء وكيد الشيطان لطالب العلم	**١٥**
الفصل الثالث: التذكير بصبر العلماء على طلب العلم	**٢١**
الفصل الرابع: بيان أنواع الفتور في طلب العلم وأسبابه	**٢٧**
آثار ضعف اليقين	**٣١**
آثار ضعف الصبر	**٣٣**
التنبيه على أهمية الصبر واليقين	**٣٤**
أسباب أخرى للفتور في طلب العلم	**٣٥**
الفصل الخامس: بيان علاج الفتور في طلب العلم	**٤٣**
ما يعالج به الفتور	**٤٣**
بِمَ يُنال الصبر؟	**٤٥**
قائمة المراجع	**٥٤**
الفهرس	**٥٦**

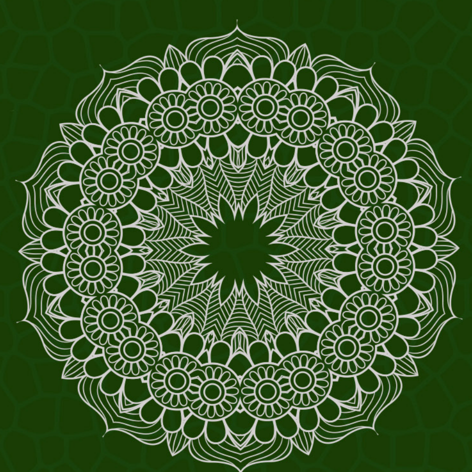












علاج الفتور في طلب العلم

تأليف
عبد العزيز بن داخل المطيري